الثقافة الاسلامية بين الاصالة والتجدد

■ د. حسن عمر قريشين

● قسم اللغات – جامعة طرابلس

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد العربي الامين وعلى أله وصحبه إلى يوم الدين

استطاع العرب المسلمين في إقامة اروع حضارة إنسانية وخاصة في الاندلس امتازت بتنوع مجالاتها وعلومها والاهم في كل ذلك في هذه الحضارة هي إنسانيتها التي عكست بها انسانية التحرك العربي الاسلامي وتسامحها الديني واهتمامها بالإنسان وتنمية حسه وذوقه وعقله ليتغدى بالعلوم الثقافية الاسلامية النابعة من القرآن الكريم الذي نزل على سيدنا محمد العربي الامين يوضح للناس كافة ما لهم وما عليهم من حقوق وواجبات اتجاه دينهم الاسلامي السمح وبين لهم طريق الخير يتبعوه وطريق الشر ليجتنبوه، فعلى كل مسلم أن يسعى إلى الحصول على ثقافة اسلامية نقية خالية من التشويه حتى تسود الثقافة الاسلامية العجمة العالم الاسلامي جمعا وبذلك يستطيع المثقف الاسلامي من التأثير في الثقافات الاخرى السائدة في العالم ويواكب كل التطورات الحديثة في تغذية الثقافة الاسلامية لتسود كل الثقافات الأخرى.

واستمر المثقفون الإسلاميون في نشر البحوث العلمية بكل شفافية ووضوح .

المطلب الأول : الثقافة لغة واصطلاحا:

الثقافة لفة في القواميس المختلفة تعني الحذق والفطنة والذكاء وسرعة التعلم، والثقيف هو الفطين الحاذق، أي يقال ثقف العلم والصناعة أي حذتهما والشيء ظفر به. وفي القرآن الكريم ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ ، فيقال ثقف ثقفاً وثقفاً ورجل ثقف لقفٌ: إذا كان محكماً لما يتناوله من الأمور.

إذن فمعنى الثقافة الحذق والفطنة إذا كان الفعل لازماً وهي بمعنى التهذيب والتقويم إذا كان الفعل متعدياً.

ومن معانيها المجازية حديثاً: المشاركة البارعة في أنواع شتى من المعرفة، وبلوغ الفرد والجماعة مبلغاً أسمى في كسب المعلومات، وتعني الثقافة أيضاً استساغة القيم الفكرية الإنسانية وأسلوب الإدراك الحضاري.

والثقافة أيضاً عند المفكرين المعاصرين: هي الحصيلة الطبيعية للقراءة الواعية والدراسة المستمرة لنظريات الآخرين وتجاربهم، والتأمل في نظرياتهم، وإدراك مشاعرهم، أي أنها أعمق من مجرد التقويم والتعليم، أنها تعني كما يقول بعض المفكرين المعاصرين (منح الإنسان حيوات متعددة بدلا من الحياة الواحدة وأعماراً طويلة مع العمر المحدود).

قال الأستاذ العقاد: (إن القراءة دون غيرها هي التي تعطيني أكثر من حياة واحدة في مدى عمر الإنسان الواحد، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق وإن كانت لا تطيلها من ناحية الحساب).

وهي بمفهومها الحضاري وتأثيرها الاجتماعي تمنح الأمة طابعها المميز في فهمها لطبيعة الحياة والتزامات الإنسان، وتحديد مركزه في مجتمعه ومعرفة علاقته بمواطنيه وبالناس خارج وطنه وكيفية تفاعله مع القوى والعناصر الإنسانية والكونية.

والثقافة – بعبارة مختصرة بينة- هي ما تعكسه حضارة معلومة تضم ثمرات الفكر من أخلاق وعلم وقانون وفنون.

وهنا نستطيع أن نتبين بعدما ما ذكرنا من تعريفات أن هنالك فرقاً دقيقاً بين الثقافة والعلم. فالمفهوم الصحيح لمعنى (الثقافة): أنها نظرية سلوك أكثر منها نظرية معرفة، إذ أنها تهيئ الإنسان للحياة الحضارية وتعينه على التطور الاجتماعي المطلوب.

المطلب الثاني : مصادر الثقافة الإسلامية:

إن مما يميز الثقافة الإسلامية أنها ربانية المنبع، نبوية الإرشاد، تاريخية النسب، حيث أنها تنمي إلى تاريخ له أصالته ومكانته وجلاله، ومن المعلوم أن لها مصادرها الأساسية التي تتلخص في مايلي:

أولا: القرآن الكريم:

إن القرآن الكريم كلام الله ووحيه وتنزيله على سيدنا محمد ﷺ قال الله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾.

(إن الروح الأمين هو جبريل عليه السلام نزل بهذا القرآن الكريم من عند الله على قلب رسول الله ﷺ وهو أمين على ما نزل به حفيظ عليه، نزل به على قلبه فتلقاه تلقياً مباشراً ووعاه وعياً مباشراً، نزل به على قلبه ليكون من المنذرين بلسان عربي مبين هو لسان قومه الذي يدعوهم به ويتلو عليهم، وهم يعرفون مدى ما يملك البشر أن يقولوا، ويدركون أن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر وإن كان بلغتهم، وأنه بنظمه وبمعانيه وبمنهجه وتناسقه يشير بأنه آت من مصدر غير بشري بيقين).

ويكفي الثقافة الإسلامية شرفاً أن يكون مصدرها الأساسي الأول هذا القرآن الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ الْبَٰطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾.

ولقد بين الحق سبحانه وتعالى أن هذا القرآن العزيز يهدي للتي هي أقوم فقال عز من قائل: ﴿ إِنّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشّرُ الْمُؤْمِنِينَ الّذِينَ يَعْمَلُونَ الصّالِحاتِ أَنّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا () وَأَنّ الّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنا لَهُمْ عَذابًا أَلِيمًا﴾ .

فهو تعالى يبين في هذه الآية الكريمة أن القرآن الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ بأنه هدس لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم عذاباً أليماً أي يوم القيامة.

ولقد آتي الله عز وجل رسوله محمد ﷺ هذا القرآن الكريم وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً.

ومن حكمته سبحانه أنه أراد أن يحفظ على هذه الأمة اعتدالها وتوازنها وأن يجعلها وسطاً في عقائدها وأخلاقها وعباداتها ومعاملاتها، فعلى الصعيد الاجتماعي مهد لذلك بتصحيح مقاييسها ودعوتها إلى ما يحييها، فثقافة القرآن الكرم ثقافة شمولية أي استوعبت جميع مناحي الحياة، ومما بدل على ذلك أنه لما اتفقت جماعة من الصحابة على أن يجبوا أنفسهم ويعتزلوا النساء ولا يأكلوا لحماً ودسماً ويلبسوا

المسوح ولا يأكلوا من الطعام إلا قوتاً ويسيحوا في الأرض كهيئة الرهبان) أنزل لتقويم هذا الانحراف عن دواعي الفطرة قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

ومن عجائب الإحاء التعبيري في القرآن أن انحراف أولئك الصحابة شبه في الآية الكريمة بالاعتداء والعدوان.

وعلى الصعيد التربوي أراد الحق سبحانه وتعالى بثقافة القرآن الكريم أن حطم العصبية الجاهلية الرعناء، وأن يستبدل التقوى بتفاخرها بالأباء، فمهد بذلك برفع العبيد الأرقاء إلى مقام السادة الاحرار، إن بلالاً الحبشي الأسود يصعد إلى ظهر الكعبة المشرفة ويؤذن ويوم فتح مكة، فيستنكر المشركون قائلين: (أهذا العبد الأسود يؤذن على ظهر الكعبة) نزل على قلب الرسول ﷺ أية تضع الموازين القسط للأشخاص والقيم والأشياء هي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

فلم يزيد قلوبهم بحلية الإيمان الصادق والعبادة الخالصة والخلق النبيل، إلا بعد أن مهد لذلك بتقبيح تقاليدهم الباطلة وعقائدهم الفاسدة شيئاً فشيئاً، وساعده نزوله المنجم على حفظ أياته في الصدور كما قوى من عزائمهم في الشدائد، فكان دستور حياتهم علماً وعملاً، وكان المدرسة الصالحة التي تثقفوا فيها وصاغت منهم رجالاً عرفهم التاريخ، منهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس- رضي الله عنه وعن أبيه - الذي قال: (نزله جبريل بجواب كلام العباد وأعمالهم).

والقرآن الكريم إنما كان يشير إلى هذا النوع من التربية المثالية التي أتاحها للمؤمنين حيث أن كتابهم نزل منجماً حسب الحوادث والوقائع قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴾.

فهو كتاب وقرآن وفرقان وذكر وتنزيل، فرقة الله عز وجل أي أنزله منجماً لتعم معارفه مفرقاً غير مجتمع يقال: فرق الأشياء أي إذا باعد بينها وفرق الصبرة إذا جزءها، ويطلق الفرق على البيان لأن البيان يشبه تفريق الأشياء المختلطة فيكون معنية فرقناه، بيناه وفصلناه لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ (فهما علتان أن يقرأ على الناس

وتلك علة لجعله قرآنا، وأن يقرأ على مكث أي مهل وهي علة لتفريقه والحكمة في ذلك أن تكون ألفاظه ومعانيه أبت في نفوس السامعين وتثقيفهم وطوى بيان الحكمة للاجتزاء بما في قوه تعالى: (تقرأه على الناس على مكث) من اتحاد الحكمة وهي ما صرح به قوله تعالى: ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾.

هذا هو القرآن الكريم الذي يعتبر المصر الأساسي الأول للثقافة الإسلامية .

ثانيا : السنة المطهرة:

المصدر الثاني من مصادر الثقافة الإسلامية السنة النبوية الصحيحة الثابتة عن الرسول محمد ﷺ المشتملة على أقواله وإعماله وأوامره ونواهيه وإرشاداته وتوجيهاته فحياة الرسول ﷺ حافلة بذلك جميعه، قال الله تعالى ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّه إِنّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ.﴾.

وقال عز من قائل ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ () إِنْ هُوَ إِلّا وَحْيٌ يُوحَىٰ () : (وقال سبحانه: ({قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رّحِيمٌ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿لّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللّه وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللّه كَثِيرًا﴾.

وهنالك الكثير من الآيات التي تأمرنا على الأخذ بما جاء به الرسول الأكرم ﷺ وحذرنا الحق سبحانه من مخالفة أمره، فقال: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَـهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾.

ولقد أكد الرسول ﷺ أهمية إتباع أمره في أحاديث كثيرة منها ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: (دعوني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم شيء اجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) متفق عليه.

ومنها ما رواه أبو نجيح العرياض بن ساريه- رضي الله عنه - عنه ﷺ قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: **أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد**

حبشي، فأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين عضوا عليها بالنواجد، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة).

ومنها ما رواه أبوهريرة – رضي الله عنه – عنه ﷺ أنه قال: (**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبي، قيل ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني فقد دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي).**

إذن فالثقافة الاسلامية مصدرها الثاني حديث رسول الله ﷺ.

إن أفراد الأمة جميعهم بما فيهم حاكمهم ومحكومهم لا يملكون مخالفة شرع الله عز وجل ولا سنة رسوله ﷺ فإذا شرعت الأمة ما يخالف ذلك لم يكن لثقافتها مكان لأنها خالفت مصادر ثقافتها، لذلك من الواجب عليها أن تقوم حياتها على هذا المنهاج الوضي وأن تحرسه وأن لا تخالفه.

ثالثا: التاريخ الإسلامي:

المصدر الثالث من مصادر الثقافة الإسلامية تاريخ المسلمين عبر عهوده المتتالية منذ العهد النبوي الكريم إلى الآن– أي الثقافة الإسلامية – ربانية المنبع، نبوية الإرشاد، تاريخيه المرجع ، حيث أنها تنتمي إلى تاريخ عريق يشتمل على نماذج رائعة وأمثلة كثيرة في الحضارة الإنسانية.

يقول الدكتور عبدالكريم عثمان: (إن الثقافة الاسلامية تجمع بين الغايات والوسائل وبين العلم والإيمان، وكونها تستمد كيانها من مبادئ الدين لا يعني تخليها عن العقل والعلم، فاعتماد الثقافة الإسلامية عليهما واحتفاؤها بهما لا يحتاج إلى بيان).

قال العلامة سيد قطب: (إن العقل والعلم ليسا بديلا عن العلم والحضارة ولا عدوا لهما، وإنما هو إطار ومحور لهما في حدود إطاره ومحوره الذي يحكم شؤون الحياة).

ولذلك نجد صحابة الرسول ﷺ نماذج رائعة تربوا على الثقافة الإسلامية عندما تشربت أرواحهم النور الإلهي، فارتفعت به وصارت إلى تلك النماذج العالية التي تشرف بها البشرية في جمع اعصارها وجميع أحوالها.

إن التأسي بهم والإقتداء بأعمالهم وأفكارهم ومشاعرهم محاولة مفتوحة أمام المسلمين في كل جيل يصلون منها ما تقدر نفوسهم عليه.

وهكذا من جاء بعدهم من أئمة الهدي والدين وتبعهم بإحسان حيث وجدوا هذا التاريخ العظيم فاستلهموا منه ثقافتهم الإسلامية والعربية.

والخلاصة علينا أن نعلم أن المنهج الإلهي ليس عدواً للإبداع الإنساني وكذلك السنة المطهرة والسيرة العطرة وإنما هو منشئ لهذا الإبداع وموجه له الوجهة الصحيحة كي ينهض الإنسان بمقام الخلافة في الأرض. هذا المقام الذي منحه الله إياه وأقدره عليه ووهبه من الطاقات المكونة وسخر له من القوانين الكونية ما يعينه على تحقيق مقامه هذا على أن يتقيد بشروط الخلافة – فيعمل ويتحرك في نطاق ما شرعه العليم الحكيم.

المطلب الثالث: مدلولات الثقافة الإسلامية:

وعلى ضوء ما أوضحناه في المطلب الأول لمعنى الثقافة لغة واصطلاحاً وتأثير حضارياً في الفرد المثقف والجماعة المثقفة على سواء، وعلى أساس مفهوم الثقافة على أنها نظرية سلوك أكثر منها نظرية علم مجرد، نأتي الآن إلى الحديث عن الثقافة الإسلامية العربية كضرورة اجتماعية للمسلمن عامة وللجيل الناشئ بصفة خاصة.

فنحن في هذا البحث حول (مفهوم الثقافة الإسلامية) نتحدث يه على أن الثقافة الإسلامة هي المدلولات الصحية عن الحق سبحانه وتعالى، وهذا الكون الفسيح وعن الإنسان المستخلف فيه، وعن الحياة التي يعيشها.

أما مدول الثقافة الإسلامية عن الله سبحانه كخالق هذا الكون وما فيه ومن فيه، فالله سبحانه وتعالى هو خالق كل شء ، قال الله تعالى: ﴿ قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار﴾ .

فهي الوحدانية في الخلق، وهي الوحدانية في القهر، أقصى درجات السلطان.

وقال سبحانه: ﴿ إِنّ رَبّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ*﴾.

وقال أيضا: ﴿ بَلَى وَهُوَ الْخَلّاقُ الْعَلِيمُ ﴾.

وإلى جانب فهم الإنسان عن الله كخالق فإن الثقافة الإسلامية تبين لنا الدليل الصحيح بالنسبة للعبادة، فهي الله تعالى وحده ولا معبود بحق سواه ﴿ إِيّاكَ نَعْبُدُ وَإِيّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾.

فالثقافة الإسلامية توحي إذا أتم الحامد حمد ربه يأخذ في التوجه إليه سبحانه بإظهار الإخلاص له، انتقالا من الإفصاح من حق الرب إلى إظهار مراعاة ما يقتضيه حقه تعالى على عبده من إفراده تعالى بالعبادة والاستعانة.

ولنعلم أنه من أهم الثقافة الإسلامية البحث عن سر العبادة وتأثيرها، وسر مشروعيتها لنا، وذلك أن الله تعالى خلق هذا العالم ليكون مظهرا لكمال صفاته تعالى: الوجود، العلم، القدرة، وجعل قبول الإنسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ علمه وقدرته من علم الله تعالى وقدرته، وأودع فيه الروح والعقل اللذين بهما يزداد التدرج في الكمال، ليكون غير قانع بما بلغه من المراتب في أوج الكمال والمعرفة وأرشده وهداه إلى ما يستعين به على مرامه ليحصل له بالارتقاء العامل، رقى آجل لا يضمحل، وجعل استعداده لقبول الخيرات كلها عاجلها وآجلها متوقفاً على التلقين من السفرة الموحي إليهم بأصول الفضائل.

ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في ثغراتها وشرداتها، وكانت تلك المراقبة تحتاج إلى تذكر المجازي بالخير وضده شرعت العبادة لتذكر ذلك المجازي، كما أن الثقافة الإسلامية تبين على أن في ذلك التذكر دوام الفكر في هذا الملكوت الفسيح، فظهر أن العبادة هي طريق الكمال الذاتي والاجتماعي مبدأ ونهاية.

قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنّ وَالْإِنسَ إِلّا لِيَعْبُدُونِ ﴾، ولا شك أن داعي الثقاة هنا عن الله أن العبادة له سبحانه، وداعيها التعظيم والإجلال له، ولذلك قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّه فَاتّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللُّه وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللُّه غَفُورٌ رّحِيمٌ ﴾، فذلك يشعر بأن الثقافة الإسلامية هي الفهم الصحيح بأن إتباع الشريعة يوجب محبة الله وأن المحب يود أن يحبه حبيبه.

وكون الثقافة الإسلامية على أنها الفهم الصحيح عن الكون، لأن الكون مسخر من قبل الله عز وجل للإنسان لينتفع به، قال الله تعالى:﴿ اللُّه الّذِي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثّمَرَاتِ رِزْقاً لَكُمْ وَسَخّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ () وَسَخّرَ لَكُمُ الشّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخّرَ لَكُمُ اللّيْلَ وَالنّهَارَ () وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّه لَا

تُحْصُوهَا إِنّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفّارٌ ﴾.

إن من معجزات هذا الكتاب العزيز أنه يربط كل مشاهد الكون وكل خلجات النفس إلى عقدة التوحيد، ويحول كل ومضة في صفحة الكون أو في ضمير الإنسان إلى دليل أو إيحاء أو مفهوم، وهكذا يكون الكون بكل ما فيه معرضاً لآيات الله تبدع فيه يد القدرة وتتجلى أثارها في كل مشهد ومنظر، وفي كل صورة فيه وظل أنه لا يعرض قضية الألوهية والعبودية في جدل ذهني ولا في لاهوت تجريبي ولا في فلسفة (ميتافيزيقية) ذلك العرض الميت الجاف الذي لا يمس القلب البشري ولا يؤثر فيه ولا وحى إليه إنما هو يعرض هذه القضية في مجال المؤثرات والموحيات الواقعية من مشاهد الكون ومجال الخلق ولمسات الفطرة وبديهيات الإدراك في جمال وروعة واتساق.

فخط السماوات والأرض يتبعه خط الماء النازل من السماء والثمرات النابتة من الأرض بهذا الماء، فخط البحر تجري فيه الفلك والأنهار تجري بالأرزاق.. ثم تعود الريشة إلى لوحة السماء بخط جديد خط الشمس والقمر فخط آخر في لوحة الأرض متصل بالشمس والقمر: خط الليل والنهار ثم الخط الشامل الأخير الذي يلون الصفحة كلها ويظللها.

كل ذلك مسخر للإنسان، مسخر لهذا المخلوق الصغير، السماوات ينزل منها الماء والأرض تتلقاه والثمرات تخرج من بينهما، والبحر تجري فيه االفلك بأمر الله مسخرة، والأنهار تجري الماء والأرزاق في مصلحة الإنسان، والشمس والقمر مسخران ذائبان لا يفتران والليل والنهار يتعاقبان، أفكل ذلك للإنسان؟ ثم لا يشكر.

والثقافة الإسلامية هي الفهم الصحيح عن الإنسان كمستخلف في هذه الأرض لعمارتها، قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنّ رَبّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنّهُ لَغَفُورٌ رّحِيمٌ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ وقال عز من قائل: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ

كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

والثقافة الإسلامية هي فهم الإنسان لتصرفاته الحسنة والسيئة، فيأتي بالحسنات ويبتعد عن السيئات، مدركاً معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

وقوله جل ذكره: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

وإلى جانب هذا نجد الثقافة الإسلامية أنها الفهم الصحيح لحياة الإنسان كمجال لعمله على أسس إسلامية محكمة، قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ فالحياة معناها في الآية الكريمة الإصلاح أي ما يصلح الإنسانية، فعن خبيب أبن عبدالرحمن قال: سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلي فمر بي النبي ﷺ فدعاني فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال: (ما منعك أن تأتيني؟ الم يقل الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ . ثم قال لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له.

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ أي للحق، وقال قتادة: هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة، وقال السدي: ففي الإسلام أحياؤهم بعد موتهم بالكفر.

إن الثقافة الإسلامية وحدها هي السبيل في إصلاح الإنسان والالتزام بمنهجها ودعوتها وإتباعها ضرورة دينية بل ضرورة الحياة والأحياء وفيها الفلاح والسعادة وبها النجاح، وفيها الدعوة الحكيمة وجماع الأمان لحياة الإنسان ضد أي انحراف أو تزيف أو شقاء، لأن في الثقافة الإسلامية حراسة وتزكية له وبغيرها يأتي الخوف وينعدم الطهر، ولنا في رسول الله ﷺ القدرة الطيبة والأسوة الحسنة قال الله تعالى: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر اله كثيراً﴾.

المطلب الرابع: مزايا الثقافة الإسلامية:

إن للثقافة الإسلامية مزايا خالدة فحين نذكرها أو نكتب فيها أو نتكمل حولها نتبين من فورنا الفرق الواضح بينها وبين الثقافات الأجنبية سواء كانت قديمة أو حديثة، عربية أم شرقية، ذلك أن للثقاة الإسلامية امتيازات تتلخص أهميتها فيما يلي:

أولاً: ما تمتاز به ثقافتنا الإسلامية أنها إنسانية فريدة عالمية شاملة تنظر إلى الناس بمنظار واحد، لا تفسد هذا المنظار ثغرة قومية أو حركية عنصرية، حيث أن الرابطة التي تربط بين الناس.

في مفهوم الثقافة الإسلامية هي العقيد الإسلامية الصحيحة، والسلوك المتوازن الراشد أي العمل الصالح بما يرفع ميزان الفرد أو ينخفض، كما يقرر ذلك مصدرها الأول القرآن الكريم في قوله عز من قائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللّه أَتْقَاكُمْ إِنّ اللّه عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

لقد كان أعجاب كل قبيلة بفضائلها وتفضيل قومها على غيرهم فاشياً في الجاهلية وكانوا يحقرون بعض القبائل مثل باهلة وضبيعة وبني عُكل.

سئل أعرابي أتحب أن تدخل الجنة وأنت باهلي؟

فأطرق حيناً ثم قال: على شرط أن لا يعلم أهل الجنة أني باهلي، فكان ذلك يجر إلى الإجن والتقاتل وتتفرع عليه السخرية واللمز والنبذ والظن والتجسس والاغتياب، فجاءت هذه الآية الكريمة لتأديب المؤمنين على اجتناب ما كان في الجاهلية، لاقتلاع جذوره الباقية في النفوس، بسبب اختلاط طبقات المؤمنين بعد سنة الوفود إذ كثر الداخلون في الإسلام.

ونودوا في الآية الكريمة (بالناس) دون المؤمنين لأن الغرض من التذكير بأن أصلهم واحد، أي أنهم في الخلقة سواء، ليتوصل بذلك إلى أن التفاضل والتفاخر إنما يكون بالفضائل، وإلى أن التفاضل في الإسلام بزيادة التقوى، وهذا من مزايا الثقافة الإسلامية.

ثانيا: مما تمتاز به الثقافة الإسلامية بأن الدين الذي هو قوامها وصمامها، نظام كامل شامل، أي أنه منهج للحياة البشرية الواقعية بكل مقدماتها ومقوماتها وبكل

تجاربها وعواقبها، فهو نظام التطور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود ويحدد مكان الإنسان فيه، كما يعين غاية الوجود الإنساني، وهو يشمل أيضاً الأنظمة الواقعية التي تصدر عن ذلك التصور الاعتقادي كالنظام الأخلاقي والنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي.

إن شمول العقيدة في ظواهرها الفردية الاجتماعية: هو الميزة الخاصة في الثقافة الإسلامية وهي الميزة التي توحى إلى الإنسان أنه شامل كامل فيستريح من خصام العقائد التي تشطر السريرة إلى شطرين.

وحسبنا تقدير القرآن الكريم حيث يقول سبحانه وتعالى فيه: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾.

ثالثا: من مزايا الثقافة الإسلامية أنها بارتكازها على العقيدة ليست من وضع بشر منساق بطبيعته البشرية إلى عوامل الضعف والنقص والعصبية والطبقية، بل أن انبثاقها عن المنهج الإلهي يعيطها مطلق الثقة الكاملة بها ويجعلها موضع الإيمان والتسليم ويغنيها- من ناحية أخرى- عن الوسائل التي يلجأ إليها لتزيين المفاهيم البشرية الناقصة المحدودة.

رابعا: ومما تمتاز به الثقافة الإسلامية أيضاً أنها ناتجة عن مبادئ الإسلام التي لا تتمثل في مجرد مجموعة من القيود والكوابح والضوابط الرادعة، وإنما هي في صميمها قوة بناءة وحركة دافعة إلى النمو والتطور، وانطلاق إلى تحقيق الذات في هذه الحركة بأسوب نظيف.

من ثمرات الثقافة الإسلامية لكونها قرآنية المصدر، نبوية التوجيه، إنسانية الخلق، أن قدمت للأجيال عبر تاريخها الطويل صوراً مشرقة للحق والعدل والحرية والإخاء والمساواة والتكامل الاجتماعي في نماذج بشرية رائعة من الخلفاء الراشدين والأئمة المرضيين والعلماء البارزين ورجال الاقتصاد النابغين والتجارة والخاصة والعامة.

فلقد كان الحاكم المسلم يقول لرعيته: (**أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم**) أو يقول لهم: (**إن رأيتم في اعوجاجا فقوموني**).

وكان المسلم يقول لخليفة أو الأمير (أتق الله فينا، أو يقول له ليس هذا المال من

كدك أو كد أبيك، فلا يغضب الخليفة أو الأمير، فلا يعاقبه بسجن أو قتل (كما قال سعيد بن عامر لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - في أول خلافته: يا عمر أوصيك أن تخشى الله في الناس، ولا تخشى الناس في الله، وأن لا يخالف قولك علك، فإن خير القول ما صدقه الفعل ياعمر: أم وجهك لمن ولاك الله أمره من بعيد المسلمين وقريبهم، وأحب لهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، وأكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق ولا تخف في الله لومة لائم، فقال عمر: ومن يستطيع ذلك يا سعيد؟ فقال : يستطيعه رجل مثلك ممن ولا هم الله أمر أمة محمد ﷺ وليس بينه وبين الله أحد).

خامسا: من مزايا الثقافة الإسلامية أيضاً أنها ذات تفاعل وتجاوب تمنح الفرد حرية كاملة لتحقيق مقامة كخليفة في الأرض، يعمر هذا الكون والحياة بإحساس مرهف ونظرة ثاقبة ويد عاملة منتجة، وفكر وقاد. وهذه (الإيجابية) في الثقافة الإسلامية ناتجة عن مبادئ الإسلام الرفيعة، لأنها قوة بناءة وحركة دافعة إلى التطور والنمو، وانطلاق إلى تحقيق الذات في هذه الحركة بأسلوب نقي طاهر عفيف.

ونجد القرآن الكريم الذي هو المصدر الرئيسي لثقافتنا له توجيهاته المتعددة الخالدة في هذا الميدان. وأظن أنه ليس حاجة هنا إلى التفصيل حول هذا الموضوع حيث أن تقدم الفكر الإنساني في شتى العلوم والمعارف وما أحدثته من صناعات واختراعات واكتشافات متعددة ومتنوعة كان تحقيقاً لوعود القرآن الكريم وأخباره الصحيحة.

وكم هنالك من مزايا لا يتسع لها هذا البحث: وحسبنا ما ذكرنا سابقنا والله الموفق والمعين.

المطلب الخامس: الشخصية المثالية في إطار الثقافة الإسلامية:

إن مما أفرزته الثقافة الإسلامية تكوينها للعرب الذين أشرق نور الإسلام في أراضيهم، ونزل القرآن الكريم بلسانهم وعلى رجل عربي من بينهم، شخصية فريدة ذات عقيدة صحيحة ورسالة مجيدة، ودعوة راشدة، وخلق نبيل، وفكر سليم، وطريق مستقيم.

ولما ظهر هذا الفكر الفريد في دعوته المتميز في أطره، المعروف بمجالاته واتجاهاته، كون هذه الشخصية المسلمة المثالية، لذا كان من واجب كل فرد مسلم ينحدر من سلالة عربية أو غير عربية أن يعتز به على غيره من الناس اجمعهم (أي غير المسلمين)،

قال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ ففي هذه الآية الكريمة يؤكد الحق سبحانه وتعالى لرسله أن أمتهم أمة واحدة، ولقد قال كثير من المفسرين أن الأمة هنا بمعنى المللة أي وأن هذه ملتكم ملة واحدة.

ويرى بعض المفسرين أنه لا مانع أن يكون معنى اللفظة على ظاهره ويراد به الأمة، وهم أتباع الرسل، فهم على الحقيقة أمة واحدة عربيهم وأعجميهم، دينهم واحد وآلهم واحد، وإيمانهم برسل الله جميعا واحد، لا يفرقون بين أحد من رسله، فلماذا لا يكونوا أمة واحد؟ وإن تناءت بهم الأوطان وتباعدت الأزمان، فلتذب هذه الفوارق كما ذابت من قبل في خطاب الرسل بخطاب واحد، وهو دعوة من الله لأهل التوحيد عامة أن يعتصموا بحبل الله جميعاً.

ويقرر الله تعالى في قوله: ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ أصل التوحيد وهو أن الذي يتقي الله ويعبده وحده أي الرب الذي خلق ورزق والذي يحيي ويميت والذي بيده الأمر وهو على كل شيء قدير، وهو الله الذي لا إله هو الحي القيوم هو أهل التقوى، وأهل المغفرة، يقول الله تعالى لرسله ولأمتهم بالتبع ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ أي خافوني ولا تعبدوا إلا إياي، والتقوى جماع كل خير فهي عنوان لجميع خصال الإيمان ما ظهر منها وما بطن، وهي وصية الله لرسله وللأولين من المؤمنين ومن الآخرين.

عن النواس بن سمعان-رضي الله عنه- قال: رسول الله ﷺ (ضرب الله مثلا صراطاً مستقيماً وعلى جنبي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعودوا، وداع يدعم من فوق الصراط إذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله من قلب كل مسلم، أي عربي أو أعجمي).

إن هذا الحديث يبين وحدة الصراط واستقامته، والآية التي تخن بصددها داع الله للناس جميعاً أولهم وأخرهم، قويهم وضعيفهم، فالطريق واحد، والداعي واحد والأمم قوافل في الطريق، ولكل قافلة هاد من قبل الله، وقافلتنا هذه أخر القوافل، وهادينا

رسولنا خاتم الرسل صلوات الله عليهم أجمعين، وما هو إلا واحد منهم.

هذا ما قدمته الثقافة الإسلامية للعرب ولغيرهم ممن دخل في الإسلام، ولذلك نهى الرسول الأكرم ﷺ عن الخروج عن منهاج هذه الثقافة الإسلامية وعن تقليد المسلم لغيره من غير المسلمين فيما لا منفعة فيه ولا خير، ونهى عن التشبه بأخلاقهم وإتباع عاداتهم، لقد ورد ذلك في أحاديث نبوية كثيرة نذكر منها من أجل الاستدلال لا الحصر، قوله ﷺ (من تشبه بقوم فهو منهم)، ومنها قوله أيضاً: (ليس منا من تشبه بغيرنا).

ومنها أمره ﷺ بالسحور بالنسبة للصائمين حيث قال: (**تسحروا فإن في السحور بركة، وإن اليهود والنصارى لا يتسحرون**).

وهنا أورد أن أشير إلى مشكلة من المشكلات التي يعاني منها المجتمع الإسلامي هي افتقاد الكثير منهم للشخصية المثالية التي تنشدها الثقافة الإسلامية، وضياعهم بين شتى الأخلاق المنحرفة، والأفكار الهدامة المخربة التي لفظت بها أمواج بحور الحضارة الغربية المعاصرة.

أنهم في واقعهم حالياً-كما يقول بعض المفكرين- لم يستطيعوا حتى الآن أن يضعوا أيديهم على أبعاد شخصيتهم، وحقيقتها وأهدافها.

إن الأمة ما لم تحدد ما هيتها، وتتأكد من أهدافها، فإن سيرها يكون ضرباً على غير هدى، ومن هنا تخلف المسلمون عن المشاركة في السيطرة على الطبيعة وامتلاك أسباب التقدم المادي والاقتصادي، وكان الواجب أن تتوزع اتجاهاتهم واختلاف وسائلهم التي يسلكونها للارتفاع بمجتمعاتهم إلى مستوى أفضل.

ومن المعلوم أن الاستعمار الغربي له جرائم كبرى، من بينها جهده في صهر الشخصية الإسلامية وتذويبها من نفوس المسلمين، والقضاء على أخلاقهم وجهودهم.

قال العلامة المودودي: (إن الاستعمار الغربي على الرغم مما صبه على المسلمين من البطش والتنكيل وما أنزله بهم من ضروب الفتن، وما دمر من حكوماتهم، واحتل من أراضيهم إلا أن هذه الأعمال الإجرامية كلها لا تساوي ظلماً ارتكبه الاستعمار الغربي، حيث فرض علينا أنظمته التربوية الحديثة الغربية من معتقداتنا وتقاليدنا، لقد حاول بهذه الطريقة أن ينشئ فينا أجيالاً تتنكر لشخصيتها الإسلامية، وتبغض

دينها، ونبصق على تقاليدها، وتنظر إلى تاريخها الحافل بالأمجاد نظرة احتقار، وجعلها تقتنع بثقافة غيرها وتؤمن بأن نظام حياتها الفكرية والعلمية، أصبح بالياً لا يصلح للعصر الحاضر حتى رسخ في أذهانها وقلوبها، أنه إذا كانت هناك معارف فهي التي تدون في الغرب، وإذا كانت هنالك حضارة فهي التي أنشائها الغرب، وإذا كانت هناك أخلاق فهي التي تتحلى بها الغرب).

لذا فمن واجب المسلم المثقف أن يعلم علم اليقين أن غاية الوسائل الثقافية الغربية اليوم، ومن يتولى هذه الوسائل مختلف أجهزتها- من بعض المسلمين مع الأسف الشديد- هدفه الوصول إلى وضع العبث، ليكون أساساً لشكه في مستقبله وأفكاره وقيمه.

قال بعض المفكرين: (والواقع يشهد أن الوضع الثقافي والسياسي والاجتماعي في العالم الإسلامي والعري منهم بوجه خاص قد بلغ حد العبث، الواقع المكشوف.

إن المتأمل في الثقافة الغربية يجد جل اهتمامها-بالمادة- سلوكاً وهدفاً وغاية، بينما اختصت الثقافة الإسلامية الأصلية بامتيازات كما أشرنا إليها في المطلب السابق.

فلقد بلغ بالحياة في الحضارة الغربية أنها وصلت أرقاماً كثيرة، وأصبحت السعادة مقيسه بعدد الوحدات الحرارية والهرمونات، فلم يعد أحد يدرك معنى الفضيلة المطلقة، لقد مات بينهم مفهوم العدالة إلى جانب موت مفهوم الفضيلة، وصارت الحياة الاقتصادية إلى نفس المصير يوم وجد بعض الناس في أنفسهم الجرأة، ليؤكدا أن (التجارة هي السرقة الحلال).

وإلى جانب المادية الطاغية في ثقافة الغربيين وحضارتهم نجد فيها طغيانا آخر هو العنصرية البغيضة التي يكيفنا لها حديث (رينان) عنها في قولته: (جنس واحد بلد السادة والأبطال هو الجنس الأوروبي، فإذا ما نزلت بهذا الجنس إلى مستوى الحظائر التي يعمل ها الزنوج والصينيون فإنه يثور.

ومصداق (رينان) نجده واضحاً قائماً في الصراح العنصري بين البيض والسود في أمريكا وروسيا).

ولذا فإن المعركة لصد هذه التحديات ومقاومة العدوان وإحباط الأهداف الخطيرة، توجب علينا أن نخوضها من جميع وجوهها وجوانبها، كما خاضتها امتنا في فجر

الدعوة الإسلامية، وفي فترات مضيئة من تاريخها، مع ملاحظة اختلاف الخطط والأساليب وصور التحدي وأشكاله، وما يقتضي التصدي له من أهمية تامة، واستعداد كامل وأخذ بالوسائل الناجعة والأساليب المجدية.

ذلك لأنه أي أصحاب العداء لا يعرفون إلا ديناً واحداً هو عبادة الرقي المادي والاعتقاد بأنه لا غاية في الحياة ألا أن يجعلها الإنسان حرة طليقة من قيود الطبيعة.

ويؤكد الفيلسوف البريطاني (برأندراسل) كلامنا هذا، فيعلن بصراحة (أن الحضارة الحديثة أهملت الاهتمام بالروح، وأن العلم اليوم بحاجة إلى دين جديد يجعل غايته الإنسان). ـ الأستاذ محمد أحمد جلال (ومن سوء الحظ أن كثيراً من مفكري المسلمين المعاصرين قد أعانوا أعدائنا الأدلاء على أنفسنا وعلى ديننا، وعلى ثقافتنا وامتنا المسلمة، فقاموا بنشر الشبهات والمفتريات الغربية مصدقين لها، نتيجة لتأثرهم بالثقافة الغربية وإعجابهم بكل ما يقوله أساتذتهم الغربيون.

إذن فلابد من مقاومة هذا التحدي من تصفية مناهج التعليم وأوضاع النشاط الاجتماعي وأنظمته وبرامج وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية من شوائب ومعائب التقليد والاقتباس من الثقافة الغربية الملحدة، وغيرها من الثقافات المعادية لنا، مع الأخذ بأيدي شبابنا وطلاب العلم إلى وجهة إسلامية خالصة.

ولا مانع من الانتفاع بالجديد الطيب من علوم العصر الحديث واكتشافاته ووسائله الحضارية وصناعاته من غير تفريط في شيء من أوامر إسلامنا الحنيف أو زواجره إلى جانب معرفة المعالم الأصلية لشخصيتنا الإسلامية الفريدة، وتحديدها والاعتزاز بها والحفاظ عليها مع اتجاهنا المخلص نحو ثقافتنا الإسلامية، عقيدة وشريعة وخلقاً وسلوكاً.

بهذا نستطيع- بتوفيق من الله تعالى وعون منه- أن نعيد لنا كمسلمين شخصيتنا الأصلية وثقافتنا الفريدة، ومدنيتنا المجيدة، ومجتمعنا الرشيد.

الخاتمة

لقد تبين لنا من خلال المطالب الخمسة حول هذا البحث الهام (مفهوم الثقافة الإسلامية) أن الثقافة لها مدلولات لوية ومدلولات اصطلاحية، وقد بينت مفهوم الثقافة في الجانب اللغوي وفي الجانب الاصطلاحي كمدخل لهذا البحث مستندين في

ذلك بالمصادر الرئيسة للثقافة الإسلامية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والسيرة الخالدة لرسولنا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، وتاريخ المسلمين المتوالي، جيلاً بعد جيل، ذلك لأن الثقافة الإسلامية إنسانية عالمية فهي عقيدة وعمل، ومسجد ومعمل، إلى جانب المدلولات الصحيحة للثقافة الإسلامية عن الله والإنسان والكون والحياة، وما يطلبه هذا الكون من إعمار، لأن الإنسان مستخلف فيه.

ثم بينت مزايا الثقافة الإسلامية ذلك لأنها فريدة عالمية شاملة لجميع هذه الحياة حيث تنظر للناس بمنظار واحد ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، وذكرت أن ما تمتاز به هذه الثقافة أيضاً بأن الدين الإسلامي الذي هو قوامها نظام كامل شامل بكل مقدماته وبكل تجاربه وعواقبه إلى جانب شموله بدأ من العقيدة الإسلامية التي تعتبر المزية الخاصة وما ورد من مزايا أخرى جاءت بها الثقافة الإسلامية لأنها نتاج مبادئ الإسلام وقيمة ومثله التي لا تتمثل في مجرد مجموعة من القيود والضوابط الرادعة إلى أخره وإنما هي قوة بناءه وحركة دافعة إلى النمو والتطرق.

ثم بينت في المطلب الخامس ما أفرزته الثقافة الإسلامية من تكوينها للعرب ذلك أن القرآن الكريم أنزل بلسانهم وعلى شخصية رجل من بينهم هو رسولنا محمد ﷺ مؤكدا أن الثقافة الإسلامية ثقافة متميزة باتجاهاتها وسلوكياتها، وهي التي كونت الشخصية العربية والأعجمية المسلمة، لذلك من واجب كل مسلم أن يعتز بهذه الثقافة وأن يفخر بها، لأنها ربانية التلقي، نبوية التوجيد، تاريخية النسب.

هذا ما جاد به اليراع والله تعالى أساله أن يوفقني إلى القول الصائب الحق وأن يجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أنه سبحانه سميع الدعاء.

المراجع

- القرآن الكريم.
- تفسير القرآن الكريم.
- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي.
- مختصر أبن كير لصابوني.
- التحرير والتنوير لأبن عاشور.
- تيسير التفسير للإمام محمد بن يوسف.

- في ظلال القرآن لسيد قطب.
- في رحاب القرآن للشيخ إبراهيم بيوض.
- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- صحيح الترمذي.
- سنن أبي داوود
- سنن ابن ماجه
- الطبراني
- لسان العرب
- تاج العروس
- المعجم الوجيز
- لمحات في الثقافة الإسلامية لعمر عودة الخطيب
- محاضرات في الثقافة الاسلامية لأحمد محمد جمال
- مبادئ أساسية لفهم القرآن الكريم لأبو العلاء المودودي
- هل نحن مسلمون للأستاذ صبحي الصالح
- مقالة للدكتور عبدالكريم عثمان
- وجهة العالم الإسلامي للأستاذ مالك بن نبي.